

الإعجاز البياني للنظم القرآني عند فاضل صالح السامرائي: دراسة تطبيقية  
في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

The graphical inimitability of the quranic systems by  
Fadel Saleh Al Samerrai -  
practical study in the book of  
"The Eloquence of the word in the Quranic expression"

أ . بوقرومي سميحة

طالبة دكتوراه

جامعة الجزائر \_1\_ بن يوسف بن خدة

كلية العلوم الإسلامية

[s.bougheroumi@univ-alger.dz](mailto:s.bougheroumi@univ-alger.dz)

مجلة دراسات العلوم  
الاسلامية

## الإعجاز البياني للنظم القرآني عند فاضل صالح السامرائي: دراسة تطبيقية

في كتاب بلاغة الكلمة في التعبير القرآني

أ . بوقرومي سميحة

طالبة دكتوراه

جامعة الجزائر \_1\_ بن يوسف بن خدة - كلية العلوم الإسلامية

[s.bougheroumi@univ-alger.dz](mailto:s.bougheroumi@univ-alger.dz)

## الملخص:

بعد إشراق البلاغة العربية وتألّفها حيناً من الزمن، باتت مثقلة بأعباء المنطق والفلسفة، كدرة بكثرة الشروحات والتعليقات والتلخيصات؛ حتى طغت عليها العجمة، و أصبح اللبيب الحاذق من حصل طرائقها، وأتقن صورها. وبعد عصر السكاكي [ت626هـ] بدأ النقاد يتمردون على طريقته؛ كأمثال ابن الأثير وغيرهم، إلى أن شع فجر العصر الحديث حيث ازداد الاهتمام بالبيان المطلع على أسرار الإعجاز البياني، وكثرت المقاربات الكاشفة عن جواهر التعبير القرآني. ولعل من الدارسين المحدثين الذين عنوا بالإعجاز البياني و اللغوي في القرآن الكريم الباحث فاضل صالح السامرائي في مؤلفه: « بلاغة الكلمة في التعبير القرآني». والمتتبع لمختلف مؤلفاته يجده قد أخرج بلاغة الكلمة من قوالب السكاكي، وتفنن في شرحها بدافع التأمل والتدبر. الكلمات المفتاحية: الإعجاز البياني، بلاغة الكلمة، النظم القرآني.

**Abstract :**

After the emergence of the arabic eloquence and its blooming at a period of time , it became en cu mbered with the burdens of logic and philosophy ,troubled with the multitude of explanation ,comments and sommaries, until overwhelmed by ambiguity.the rational intelligent became the one whe deduced its ways and perfected its image .And after the Sekakki era (626 hijri) , criticizers started rebelling by his way , such as Ibn Al Athir and others , until the appearance of the new era where the interest in the apposition that acknowledges the secrets of the graphical inimitability increased, and the approaches to revealing the essences of quranic expression got multiplied . And perhaps from the researchers who meant by the graphical and linguistic inimitability in the holy quran , the researcher fadel Saleh Al Samerrai in his composition "The Eloquence of the word in the Quranic expression" , and would find that he deduced "The Eloquence of the word" from Sekkaki is templates ,as he mastered its explanation ouf of contemplation and meditation. Key words : Inimitability rhetorical, rhetorical word ,Quranic system.

مقدمة:

## أهمية الموضوع:

يعد علم البلاغة واحدا من العلوم التي جاءت لخدمة كتاب الله الكريم فقد ترعرعت في أحضان كتب الإعجاز البياني و نشأت بسبب توضيح ما أجهم وأشكل من النظم القرآني على أيدي علماء عكفوا على إحاطة كتاب الله بقلوبهم، وبرعوا في فهم الآيات و النصوص الأدبية الرائعة ، و تفننوا في التعبير الفني البديع ، و التأليف العلمي الرفيع ، وقد عبر في التاريخ رجال يبست نضارة العبارة على أقلامهم ، وغابت رشاقة الكلمة من تأليفهم، وغلبت على كتاباتهم الروح المنطقية ، و عجمة اللسان مما استدعى كثرة الشروحات ، و تسبب في تعقيد البلاغة ، لكن ظهر كثير من العلماء المعاصرين الذين بذلوا قصارى جهودهم للمحافظة على الذوق ليلظ خالصا يستطيع أن يفهم أسرار النظم القرآني و يحس الفرق بين كلام الله وكلام البشر .

ومن بين الباحثين المعاصرين الأفتاح فاضل صالح السامرائي في مؤلفه "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"، والمستقرئ لهذه المدونة يجده قد تفنن في توجيه الكلمات القرآنية و تأثيرها في التعبير القرآني ، مما يبرز جزالة نظمه وسحر بيانه وقوة إعجازه.

مشكلة البحث:

إن الباحث في أعماق الإعجاز البياني و جودة نظمه ، يجد موروثا زاخرا، لكن المستقرئ لكثير من المقاربات التي تناولت بلاغة الكلمة يجدها قليلة خاصة عند فاضل صالح السامرائي ؛ و من ثم يكتسي هذا الموضوع أهمية بالغة في مجال النظم القرآني خصوصا واللغة العربية عموما . وهذا ما يدفعنا لطرح الإشكالات التالية:

- 1) ماهي إسهامات فاضل صالح السامرائي في الدرس الإعجازي الحديث ؟
- 2) ماهي معالم منهجيته في مقارنة بلاغة الكلمة القرآنية ؟
- 3) كيف تؤثر بلاغة المفردة في الإعجاز اللغوي والبياني للنظم القرآني؟.

## منهج البحث :

تجدر الإشارة إلى أن المنهج المتبع في الدراسة هو المنهج التحليلي الاستقرائي ؛ حيث يتجلى التحليل من خلال تحليل بعض مسائل السامرائي في موضوع بلاغة الكلمة ، و محاولة ربط بعضها ببعض ، أما المنهج الاستقرائي فهو معتمد في استقراء بعض الكتب البلاغية و الإعجازية لخدمة الموضوع وتكوين زاد معرفي .

المبحث الأول : الإعجاز البياني و قضية النظم فيه:

## مبحث تمهيدي: ترجمة فاضل صالح السامرائي

إن المستقرئ للتراجم التي أرخت لسيرة فاضل صالح السامرائي و حياته يلفي أنها اتسمت بالاعتضاب ، فقليلة جدا التراجم التي عرفت بشخصية هذا العالم الفذ ؛ و مما توصلنا إليه :

هو فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري من عشيرة "البدري" إحدى عشائر سامراء ويكنى بأبي محمد ، ولد في سامراء عام 1933 م ، تعلم القرآن صغيرا في أحد مساجدها ، ثم أكمل فيها الدراسة الابتدائية و المتوسطة و الثانوية .

انتقل إلى بغداد، وتخرج عام 1960م-1961م، في دار المعلمين العالية بقسم اللغة العربية (كلية التربية)، ثم حاز على الماجستير في كلية الآداب، ونال شهادة الدكتوراه بعد انتقاله إلى مصر من جامعة عين شمس (كلية الآداب-قسم اللغة العربية) عام 1968م، وبعدها عاد إلى العراق.

قام بالتدريس في جامعات الكويت والإمارات ، ثم عاد إلى العراق عام 2004م ، له باع واسع في علم المعاني ، و بصمة بارزة في اللمسات البيانية . (1)  
من مؤلفاته: (2)

- نداء الروح.
- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني.
- التعبير القرآني.
- معاني النحو في أربعة أجزاء
- الجملة العربية و المعنى
- تحقيقات نحوية.
- نبوة محمد من الشك إلى اليقين.
- أسرار البيان في التعبير القرآني.
- الدراسات النحوية و اللغوية عند الزمخشري ( رسالة دكتوراه).

يعد السامرائي من العلماء المعاصرين الذين حاولوا كشف أسرار إعجازية جديدة للقرآن الكريم ؛ متكفا على الفنون اللغوية البحثية ، ومعتمدا على بنية الكلمة و دلالاتها ، وعلى التركيب القرآني وعلاقته بالمقاصد ؛ أي أن فاضل السامرائي قد أعطى نفسا جديدا للبلاغة الحديثة ، و أخرجها من حيز التقنيات السكاكية ؛ خاصة على مستوى المفردة.

### المطلب الثاني : مفهوم الإعجاز البياني : الفرع الأول : مفهوم الإعجاز :

لغة : تعد مادة العجز من المفاهيم الشائعة في اللغة ، وقد اشتملت عليها عدة معاجم و قواميس ، نذكر منها : ما قاله ابن فارس : " (عجز) العين و الجيم و الزاء أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على الضعف ، والآخر على مؤخر الشيء . " (3)  
نستنتج من تعريف ابن فارس أن الضعف أحد الأصلين المحوريين التي يقوم عليهما العجز ، وهو أصل جامع لعدة معان ، وتعريفات أخرى لبعض اللغويين ، أما الأصل الآخر الذي ضمنه في تعريفه فهو مؤخر الشيء .  
و رغم تفاوت تعريفات العلماء وتنقلهم بين رحاب هذين الأصلين ؛ نجد ابن منظور يقول عن العجز إنه : " نقيض الحزم " (4) ؛ إلا أن ابن فارس انفرد بقراءة معجمية جامعة لأصول معاني العجز تدور حول معنيين هما : الضعف ، ومؤخر الشيء .

<sup>1</sup> ينظر: موقع الإخوان المسلمين Htup/www.ikhanwiki.commdex/pdp.tite2017.

بمحت الحديثي ، القصة الإسلامية وشعرائها في العراق نقلاً عن : توفيق زيادي ، جهود السامرائي البياني ، بحث مقدم للمؤتمر الدولي السنوي جامعة ماليزيا ، 2012م ، ص3.

<sup>2</sup> ينظر : موقع الإخوان المسلمين ، (المرجع نفسه).

<sup>3</sup> معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج 4، باب العين والجيم و ما يثلثهما، مادة عجز، ص 232 .

<sup>4</sup> ابن منظور ، لسان العرب ، [د.ط] ، دار اللسان العربي ، بيروت ، [د.ت] ، ج 2 ، ص 691 . للتوسع أكثر ينظر: الزمخشري ، أساس البلاغة ، [د.ط] ، دار المعرفة ، بيروت ، 1979م ، ص 294.

اصطلاحاً :

قد عرفه الدكتور مناع القطان بقوله : « إظهار صدق النبي -صلى الله عليه و سلم- في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -و هي القرآن - و عجز الأجيال بعده .»<sup>(1)</sup> والذي يظهر من خلال تتبعنا لمعنى الإعجاز لغة واصطلاحاً أنه لا يخرج عن معنى الأمر الخارق للعادة ، المقرون بالتحدي ، بمعنى أنه فوق قدرة البشر ، وهذا التحدي مستمر إلى الأزل .

الإعجاز البياني :

يعد الإعجاز البياني مركباً إضافياً أشار إلى مفهومه ثلة من العلماء من بينهم الباحث مصطفى مسلم الذي قال : " الإعجاز البياني هو بيان القرآن وفصاحته وبلاغته، وفي أسلوبه المتميز عن باقي أساليب العرب حيث جاء القرآن الكريم بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، متضمناً أصح المعاني، كذلك ترتيب ألفاظ القرآن الكريم في آياته وجمله، ثم ترتيب هذه الجمل للآيات في السورة ." <sup>(2)</sup>

### الفرع الثاني : قضية النظم في مسألة إعجاز القرآن

إن للإعجاز القرآني أثر كبير في بلورة فكرة "النظم" ، والتي وجدت متناثرة في كتب الإعجاز عند القدماء؛ أمثال الخطابي الذي قال : « و اعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأحسن الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني ، من توحيد له عزت قدرته ، وتنزيه له في صفاته ، [...] واضعا كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه.»<sup>(3)</sup> وكذلك يقول في موضع آخر: « و إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ، و معنى به قائم، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه. » <sup>(4)</sup>

وكذلك الباقلائي الذي يرى أن القرآن معجز بنظمه لأن نظمه خارج عن وجوه النظم المعتاد في كلام العرب؛ إذ يقول : « فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ، ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقاً كما يتفق للشاعر البيت النادر والكلمة الشاردة والمعنى الفذ الغريب و الشيء القليل العجيب .»<sup>(5)</sup>

وكذلك ظهر النظم كفكرة عند آخرين كالرمامي والجاحظ وغيرهم ، قبل القرن الخامس للهجرة أين شع فجر عبد القاهر الجرجاني واضع أصول علم البلاغة العربية ، ومفصل القول في نظرية النظم القرآني المعجز، والذي عرفه بقوله : « والنظم هو أحسن ترتيب الكلمات في الجملة ؛ بحيث تكون كل كلمة في محلها المناسب لها . وهو يقوم على معاني النحو و البلاغة .»<sup>(6)</sup> إذن فإن إعجاز القرآن عند الجرجاني يكمن في نظمه و روعة تأليفه ، و النظم هو توحي معاني النحو وأحكامه ، يقول أحمد بدوي في هذا الشأن : « لقد عد العلماء قبله- أي قبل الجرجاني- البلاغة من بين وجوه إعجاز القرآن [...] بينما رأى عبد

<sup>1</sup> مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، ط7 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1990م ، ص265 .

<sup>2</sup> مصطفى مسلم ، موجز في إعجاز القرآن ، ط2 ، دار المسلم ، الرياض ، 1996م ، ص104 .

<sup>3</sup> الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1979م ، ص229 .

<sup>4</sup> الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، ص27 .

<sup>5</sup> الباقلائي ، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، [د.ط.] ، دار المعارف ، القاهرة ، [د.ت] ، ص112 .

<sup>6</sup> عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004م ص385-393 .

القاهر أن البلاغة هي حسن دلالة الكلام على معناه في صورة بارعة من التعبير، وأن جميع ما ذكر من ألوان البلاغة يرجع جماله إلى حسن الدلالة على المعنى في صياغة بارعة. <sup>(1)</sup>

### المطلب الثاني : تععيد البلاغة على يد السكاكي:

بقيت علوم البلاغة مستخلصا مستساغا كمجموعة من العلوم منها علوم القرآن واللغة والأدب والنقد، عقدا من الزمن، إلى أن جاء السكاكي الذي تسبب بالقطيعة بين البلاغة بعلومها الثلاث عن مختلف العلوم الأخرى ، كذلك فقد قام بتبويبها وتحديد معالمها بتسليمها إلى علوم المنطق والفلسفة فغرقت في بحر من التقسيم والجدل العقيم، وجاء بعده الكثير ممن حذا حذوه في التأليف، فترى كتبهم عبارة عن علوم قوامها المنطق وعلم الكلام.

والمتأمل لآراء المحدثين حول البلاغة السكاكية يجد أغلبهم يؤكد أن السكاكي هو السبب في تععيد البلاغة وتعقيدها، بينما هناك بعضا منهم خالفهم كفضل حسن عباس الذي يرى أن السكاكي خدم البلاغة خدمة جليلة ، ويشيد بفضل السكاكي ومن لف لفه برغم الناقلين عليه أو المتسرعين في حكمهم على آثاره ، وذهب يثبت ذلك بآراء و حجج لا يسلم له بكثير منها <sup>(2)</sup>.

بعد جمع هذه الأقوال نستنتج أنه لا جدال أن السكاكي كان من أعلام الفكر الإسلامي؛ بل رائد الطريقة السكاكية، وإن كان قد دعا إلى استخدام الذوق في إدراك قضية الإعجاز في كتابه إلا أنه لم يطبق ذلك عمليا فخالف قوله وفعله، وسلك بالبلاغة دروبا منطقية وفلسفية يشوبها غالبا الغموض، وكثرت عليها الشروح والخواشي والتقارير، حتى أضحت قواعد بلاغية جافة لا تنمي ذوقا ولا ترهف حسا. وعن تأثير هذه القواعد في الباحثين يقول عبد المعطي عرفة: « وكان مما هيا لهذا الاتجاه سريان الجمود الذي أصاب الأدب في هذا العصر [...]، فأصبح هم الدارسين حفظ القواعد البلاغية واستيعابه ، ولو كها على ألسنتهم فحسب، وكأن قضية الإعجاز لم يعد لها أثر في توجيههم، وكأن العلماء يذكرونها في كتبهم تقليدا للسابقين فحسب <sup>(3)</sup>».

ونظرا للخلاف الذي شكله التوجيه السكاكي بين النقاد المحدثين الذين ولعوا بدراسة التراث البلاغي بين مؤيدين للمنهج السكاكي ومعارضين له حملوا لواء التجديد، حاول أمين الخولي في كتابه أن يبرز ملاحظاته ومآخذه على البلاغة القديمة؛ نلخصها في النقاط التالية : <sup>(4)</sup>

- طغيان الفلسفة على البلاغة في منهج البحث ولغته وغاياته .
- اختصار بحثها في الألفاظ، وفي حدود الجملة غالبا.
- إهمال البحث في عنصر المعنى.
- استهداف مطابقة الكلام البليغ لمقتضى الحال مع غلبة النظر إلى الحال أو المقام على أنه عامل خارجي.
- إهمال لحال المتكلم مع أنه هو مبدع الكلام الذي يجب أن يتجه إليه بعملية المطابقة .

<sup>1</sup> أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، بلاغته ونقده، ط2، المؤسسة المصرية العامة، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، [د.ت]، ص 351-352.

<sup>2</sup> ينظر : شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ ، [د.ط]، دار المعارف ، 1965م ، ص 64-69 .

<sup>3</sup> عبد المعطي عرفة ، قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ، ط1، عالم الكتب، القاهرة ، 1985م ، ص 676.

<sup>4</sup> ينظر: أمين الخولي، مناهج تجديد في النحو و البلاغة والتفسير و الأدب، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1961م ، ص 162.

هذه المآخذ التي أبرزها أمين الخولي حول البلاغة يتحمل السكاكي أكبر قدر منها، وكذلك يقول بدوي طبانة في تقنين البلاغة: « اتجاه البلاغة إلى التقنين عند السكاكي هو الذي باعد بين معنى البيان الشامل المتسع الأطراف، وبين أثره في إرهاف الحس وتنمية الملكات، وأصبح قواعد تحفظ ولا يقاس عليها، وفقدت البلاغة قدرتها على تذوق البلاغة، وعلى تكوين البلاء والنقاد، وإن استطاعت أن تكون طبقات من البلاغيين يقفوا بعضها أثر بعض، وهي في أكثر الأحيان صورة حائلة لأصل مشوه.»<sup>(1)</sup>

يظهر من خلال ما سبق ذكره أن السكاكي هو المسؤول عن حال البلاغة اليوم؛ وأن تحديده إياها هو الذي لم يجعلها تتطور، وتكسب القدرة على أن تضاهي الأبحاث اللسانية، نتيجة ابتعادها عن الإبداع، لسوء فهم معنى البيان وعلاقته بملكة المبدع.

### المبحث الثاني: إسهامات السامرائي في الدرس البياني:

بعد مطلع العصر الحديث، عصر التحرر الفكري، لا تزال قضية الإعجاز القرآني تملأ على المسلمين حياتهم، ويزداد الاهتمام بها، وبالتالي يزداد الاهتمام بالبيان المطع على أسرار الإعجاز البياني، وتقوم النهضة الإصلاحية الدينية وعلاقتها بالبيان والبلاغة وضرورة العودة بالدراسات البلاغية إلى عصرها المزهو عصر الجرجاني، والرقي بما من جديد.

لقد اجتمعت جهود أصحاب المهمة المعرفية، و الرهافة الذوقية، و الخبرة النقدية في تأصيل البلاغة، و محاولة تجديدها بتفنيده فكرة شائعة في أوساط بعض الباحثين المعاصرين مفادها أن البلاغة علم معياري قديم بني في ضل فلسفة تغلب فيها الثبات على التحول والقاعدة على الإبداع، والمثال على الحرية.

وكون البلاغة علم يستدعي الإحاطة، وهو رصيد اجتهاد الجماعة، ويقوم على الانتقاء وتجميع العناصر وتقعيد القواعد، فهو شامل لعدة نواحي ولعل من الدارسين المعاصرين الذين عنوا بالبيان القرآني فاضل صالح السامرائي في مؤلفاته، وخص جزء المفردة القرآنية بالعناية في كتابه الموسوم ب: -بلاغة الكلمة في التعبير القرآني- كونها الوحدة الأساسية للنظم القرآني. وسندرس هذا المبحث في مطالبين:

### المطلب الأول: سمات الدراسة البيانية عند فاضل صالح السامرائي

كان فاضل صالح السامرائي أوفر حظا في التأليف في الدراسات البيانية للقرآن الكريم، فقد اهتم بالعلوم العربية فألف كتاب "معاني النحو" الذي تناول فيه النحو تناولا بلاغيا مبينا المعاني التي تدل عليها الأبواب النحوية، مستشهدا بآيات الذكر الحكيم، وكذلك قوة فهم الرجل لآيات القرآن الكريم، ومهارة استخراج الوجوه البيانية و البلاغية منها ؛ مكنته من التأليف في الكلمة القرآنية، وهو موضوع مدونتنا.

وألف في عدة مواضيع تعنى بالإعجاز البياني في محاولة منه لدراسة التعبير القرآني دراسة بيانية تكشف عن معانيه و أسرار و لطائفه و إعجازه ؛ فكتبه كلها يكمل بعضها بعضا.

اتسمت دراسات السامرائي رغم كثرتها بعدم ذكر منهج الدراسة إلا ما ذكر من إشارات خاطفة في بعض مقدمات كتبه؛ وهذا دليل على أنه اعتمد منهجا عمليا تطبيقيا بدرجة كبيرة؛ وكذلك نلاحظ قصر المقدمات ؛ وعدم وجود تمهيد للمباحث؛ وقد يكون السبب في ذلك كما ذكره اليزيد بلعمش في مقاله: « إنه كان مشدودا بقوة نحو الغرض المقصدي الذي كان يحركه في دراسته

<sup>1</sup> بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة في تطوير الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجه ومصادرها الكبرى، ط7، دار المنارة، جدة 1988م، ص252.

وتفسيره، فقد كان يسعى من دراسته هذه، وتحليله البياني إلى تعميق الصلة بالكتاب العزيز، وتقوية الإيمان بإعجازه؛ بالدليل العلمي القاطع لا بالاعتقاد المجرد. <sup>(1)</sup>»

إذن كان همه الوحيد إثبات الوجه البياني للإعجاز القرآني .

ومنهج السامرائي يقوم على ثلاثة أركان هي: <sup>(2)</sup>

1-المصادر : وهي ما يركز عليها الدارس للسير على طريق الدراسة البيانية، فهي التي إذا انعدمت لم يستطع معها الباحث أن يرتقي إلى درجة البحث البياني في القرآن الكريم.

2-الضوابط التي يتقيد بها :وضع فاضل السامرائي في تناوله للدراسة البيانية ضوابط تيسر الدارس في طريقه من أهمها :

- التعبير القرآني تعبير في مقصود؛ بحيث كل لفظة وكل حرف وضع وضعا فنيا مقصودا لم تراخ في هذا الوضع الآية وحدها ولا السورة وحدها ، بل روعي التعبير القرآني كله .<sup>(3)</sup>

-مراعاة خصوصيات الاستعمال القرآني :تستخرج من تأمله،اعتنى بها فاضل السامرائي ؛ حيث قال: « استعمل القرآن الكريم قسما من المفردات أو التعبيرات لمعنى معين أو خصصها بمعنى من بين معاني المفردة أو التعبير.»<sup>(4)</sup>

- الموهبة والذوق :حيث يقول السامرائي: « أساس كل علم وفن وصنعة، فبقدر ما أوتي الفرد من موهبة يكون شأنه في العلم والفن.»<sup>(5)</sup> وهذا الضابط كان قديما من الوسائل التي تعرفوا بها على بلاغة القرآن وإعجازه.

3-الإجراءات والآيات : وهي الطرق التي استخدمها السامرائي ونبه إليها؛ ومن ذلك :

- إدامة النظر والتأمل، وهما الأصلان في الوقوف على المعاني.

- المقارنة بين المتشابه اللفظي سواء بين التراكيب القرآنية نفسها، أو بينها وبين الاحتمالات التركيبية المقاربة لها.

- اعتماد السياق في استنباط المعنى البياني، أو التوجيه البياني للعبارة القرآنية بنوعيه : اللغوي، حيث لا يفهم معنى كلمة أو جملة إلا بوصلها بالتي قبلها والتي بعدها <sup>(6)</sup> ، وسياق خارج لغوي؛ وهو كل ما كان خارج اللغة، مما يساعد على فهم دلالة العبارة؛ ومن بين الأمور التي استعان بها السامرائي في كتابه :

• الاتكاء على الدلالة الشرعية للكلمات.

• الاستدلال بأمور تاريخية واقعية.

• الاتكاء على العادة والعرف .

مجلة دراسات العلوم  
الإسلامية

<sup>1</sup> اليزيد بلعمش، الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، سمات و مرتكزات، جامعة الأمير عبد القادر، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، 2017م، ص 183 .

<sup>2</sup> ينظر : اليزيد بلعمش، الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي، سمات و مرتكزات، ص187-203 .

<sup>3</sup> ينظر :فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ط2، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، 2006م، ص 09 .

<sup>4</sup> فاضل صالح السامرائي، من أسرار التعبير القرآني، ط1، دار الفكر، 2009م، ص 70 .

<sup>5</sup> فاضل صالح السامرائي، على طريق التفسير البياني، [د.ط]، النشر العلمي، الشارقة، [د.ت]، ج1، ص113-160 .

<sup>6</sup> ينظر : عبد الرحمن بودرع، الخطاب القرآني ومناهج التأويل نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة، ط1، الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب،

2014م، ص181 .



هذه مختلف المنطلقات المعرفية التي اتكأت عليها الدراسة البيانية عند فاضل صالح السامرائي وكانت تشكل مرتكزاتها ومعالمها، مما أهل هذه الدراسات لتكون تنمة لما سبقها من بدايات التجديد ، وبداية لمشاريع أدق في الاختيار وأوسع في المضمون .

### المطلب الثاني : بعض مواضيع المفردة القرآنية عند فاضل صالح السامرائي

إن فن التعبير بالكلمة، وهي التي تكشف عن الذوق الإنساني و تثيره، بل ترويه وتصلقه، وتشهد المدارك ، وتوسع آفاقها فتخلق علاقات جديدة من الفهم و المعرفة .

وضع فاضل السامرائي كتابا مهما يبحث في المفردة القرآنية ،ويعد موضوعا واسعا ومتشعب الأطرا، ومتعدد المناحي، نذكر منه :

#### 1 - موضوع الذكر والحذف :

تعد ظاهرة الحذف من أهم الظواهر التي تنفرد بها اللغة العربية ،والمقصود بالحذف ؛ الحذف المحمود الذي يسجل إيجابا بالجملة ، لا المخلل الذي مؤداه اللبس في الكلام وإحداث الضرر فيه ؛ فقد قال الأثموني : « فإن ضر الحذف امتنع . » ، وقد يكون الحذف في الجملة عنصر قوة شريطة ألا يحدث خللا فيها ، وقد عدها السامرائي من مواطن القوة والجمال والفن في الصياغة في غير ما موضع ؛ فذكر نوعين من الحذف ، حذف الحروف وحذف الكلمة ، ولكن ركز في كتابه هذا -مدونة البحث- على حذف الحروف ؛ فذكر أمثلة متنوعة من القرآن الكريم ؛ جاء في بعضها، قوله تعالى : ﴿ سَأْتِبُكَ بِتَأْوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(1)</sup> ، وقال تعالى : ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾<sup>(2)</sup>.

قال السامرائي في توجيه هذا: « عدم الحذف من الفعل (تستطع) في الآية الأولى ، وحذف التاء منه في الآية الثانية ، وذلك أن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين ، فلم يحذف من الفعل . وأما الآية الأخرى فهي في مقام مفارقة ولم يتكلم بعدها بكلمة وفارقة ، فحذف من الفعل . »

ركز السامرائي في توجيهه لسبب حذف وذكر التاء في الآيتين السابقتين على اختلاف المقام ؛ حيث في الأولى تبيين وفي الثانية مفارقة .

#### 2 - موضوع الإبدال :

قد تصل بلاغة التعبير القرآني إلى استعماله للمفردة أحيانا مبدلة و أحيانا غير مبدلة ، وقد وردت في عدة مواضع ؛ مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾<sup>(3)</sup>.

وقال في موضع آخر: ﴿ أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾<sup>(4)</sup>

ذكر السامرائي موجها الآيتين : « ذلك أن المقام في الآية الأولى يحتاج إلى طول التدبر و التأمل ، وأن المقام في الآية الأخرى يحتاج إلى عمق التدبر و مبالغة فيه . »<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> سورة : الكهف ، آية : 78 .

<sup>2</sup> سورة : الكهف ، آية : 82 .

<sup>3</sup> سورة محمد، آية: 24.

<sup>4</sup> سورة : المؤمنون، آية : 68 .

<sup>5</sup> السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 42 .

ثم واصل في الشرح مفصلاً بقوله : « أعني بطول التدبر و التأمل التدبر العقلي ، وأعني بعمق التدبر و المبالغة فيه التدبر القلبي الذي يحمل الإنسان على الانتفاض للعمل بمقتضى ما يؤمن به العقل و يسلم بصحته ، فهو هزة إيمانية عنيفة تنبعث من الأعماق تصحح ما ينبغي تصحيحه من اعتقاد أو سلوك .»<sup>(1)</sup>

من شرح السامرائي يتجلى لنا أن الآية الأولى يراد فيها التدبر العقلي ، لما أصابهم من صم و عمى و قفل للقلوب، يحتاج إلى طول التذكير للوصول إلى الفهم الصحيح، أما الآية الثانية فيراد بها التدبر القلبي ، لما أصابهم من إغفال لإعمال قلوبهم ، فهو في سياق مأخوذة وعتاب .

3 - موضوع الوصف :

أسلوب الوصف في التعبير القرآني أسلوب واسع الأنماط ، متفرع المناحي ، درسه السامرائي في كتب متعددة، لكن خصه في كتاب "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" بنمط غير كل الأنماط الموجودة في كتبه الأخرى؛ فقد فرق بين الاشتباه و التشابه، في قوله تعالى : ﴿ وَحَنَاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾<sup>(2)</sup> ، وقوله تعالى في السورة نفسها: ﴿ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَعَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾<sup>(3)</sup> . نجد في كتب التفسير ذكر "اشتبه" و "تشابه" بمعنى واحد كاشتراك و تشارك ، و هو الاشتراك الذي يكون في باب الافتعال و التفاعل.<sup>(4)</sup>

أما السامرائي فهو يرى أن الآيتين ليستا بمعنى واحد ، وإن اختلفت كل لفظة بالموطن المناسب لها، و بالنظر في سياق الآيتين يتضح الفرق بين التعبيرين ؛ إذ يقول : « إن سياق الآية الأولى في بيان قدرة الله الباهرة في خلق [...] وأما سياق الآية الأخرى ؛ ففي بيان الأطعمة وما يحلله وما يحرمه أهل الكفر افتراء على الله و بيان عقائدهم الباطلة .»<sup>(5)</sup>

لعل السامرائي كان حاذقاً في التفريق بين "الاشتباه" و "التشابه" فيما فصله بعد استقراء لمعاجم اللغة و كتب التفسير ؛ حيث نصل إلى الاختلاف في السياق بين الآيتين ؛ فقد بينت الآية الأولى قدرة الله جل جلاله و آيته في خلقه ، في حين بينت الآية الثانية ما يؤكل من الفواكه و الزرع ، و سياق الآيتين يؤدي إلى تلمس الفروق في استعمال كل من المفردتين، و تكمن أهميته في الدلالة على سبب اختيار مفردة منهما .

4 - موضوع تعاور المفردات :

تنبه السامرائي إلى قضية اختلاف استعمال المفردات في التعبير القرآني في المواضع المتشابهة مع القصة نفسها؛ فقال في هذا الشأن : « ذلك ليس تناقضاً ولا اختلافاً، بل إن ما ذكره في الموضوعين حق حتى لو اختلف معنى المفردتين ، ذلك أن المذكور قد يكون عاماً في موطن وخصوصاً في موطن آخر ، وقد تكون له حالتان فيذكر حالة في موطن، ويذكر حالة أخرى في موطن آخر [...] وهكذا، و كل ذلك بحسب ما يقتضيه السياق و المقام.»<sup>(6)</sup>

1 السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 42 .

2 سورة : الأنعام ، آية : 99 .

3 سورة : الأنعام ، آية : 141 .

4 ينظر: الزخشري ، الكشاف ، [د.ط.]، مصطفى الباني الحلبي، مصر ، 1948م ، ج 1 ، ص 52. والألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ط1، دار الكتب، بيروت ، 1422هـ، ج 7 ، ص 240.

5 السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ص 71 .

6 السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 110 .

وقد أدرج أمثلة يوضح فيها رأيه ، نأخذ منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضْبَةً ۗ ﴾ (1).

وقال في موضع آخر: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضْبَةً ۗ ﴾ (2).  
ومعلوم أن الانفجار بالماء أغزر من الانبجاس؛ فقد خالف بين مفردتين في قصة واحدة. (3)

قال السامرائي موجها هذا الكلام : « إذا كان الانفجار أكثر و أغزر من الانبجاس، فلم قال مرة "انفجرت" وقال مرة أخرى "انبجست" [...] » والجواب أن كلا الأمرين حصل فقد انفجرت أولا بالماء الكثير ثم قل بمعاصيهم فأخذ بنبجس فذكر حالة الانفجار في موطن وحالة الانبجاس في موطن آخر [...] غير أنه ذكر حالة كل منهما تبعا لما يقتضيه السياق. (4)

لعل قول السامرائي يعتبر من المقاربات الكاشفة عن جوهر المعنى في هذا التعبير الرباني المعجز ؛ بكشفه لأسرار الاختلاف في توظيف المفردات ، أو تعاور المفردات في موضوع واحد ، علها تثري اللغة ، و تنمي الذوق ، وتنوع المقاصد.  
خلاصة:

نلاحظ مما سبق أن السامرائي قد ركن رأيه في الدرس البياني بصفة عامة ، وفي بلاغة الكلمة بصفة خاصة ؛ حيث جاء بمقاربات جديدة في البلاغة ؛ فقد نهل من معين لا تفتى عجائبه ولا ينقضي إعجازه ، فدرس إعجازه اللغوي و بين بعضا من أسرار تخفي وراء أساليب كثيرة كالحذف و الوصف و الإبدال ... وغيرها ، و ربطها بالمعنى ربطا محكما، كذلك نرى أن السامرائي لا يدرس الآية المشتملة على إحدى هذه الظواهر بعيدا عن الجو العام للسورة ، مع الحكم على أسرار الظواهر الخفية .  
وعموما نجد السامرائي قد وضع بصمته بإضافات لم يأت بها القدماء ، فرب ظواهر اجتهد السامرائي في ولوج أسرارها مهدت لدراسات مستقبلية يانعة، وأبرزت إضافات جليلة لمصادر تراثية بارزة .

#### خاتمة:

بعد جولة مائعة مع موضوع الدراسة -الإعجاز البياني للنظم القرآني عند فاضل صالح السامرائي -دراسة تطبيقية في كتاب "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني" ، ولو تتبعنا مضامين دراساته بجزئياتها لمالت الدراسة إلى الإطالة والإشباع ، و حسبنا أن نقف عند بعض النتائج التي تكشف اللثام عن دراسة السامرائي في كتابه و علاقتها بازدهار البلاغة خصوصا والإعجاز البياني للنظم القرآني عموما ، ومن أبرز هذه النتائج :

- امتازت الكلمة في التعبير القرآني بخصوصيات و أسرار تستلزم قوة في الدلالة، وارتقاء في المعنى، و نضجا في البلاغة.
- المصطلح البلاغي العربي مادة معرفية قابلة للتجدد و العطاء ، و من ثم يمكننا تطوير حمولته الفكرية في الدرس البلاغي الحديث.
- بين فاضل السامرائي أن بلاغة الكلمة القرآنية تبنى على قاعدة الاختيار، ودقة الوضع .
- يعد السامرائي من أبرز المحدثين الذين عنوا بدراسة التعبير القرآني ، و بلاغة الكلمة و قوتها، وأهميتها في بيان إعجاز النظم القرآني .

<sup>1</sup> سورة : البقرة ، آية : 60 .

<sup>2</sup> سورة : الأعراف، آية : 160 .

<sup>3</sup> ينظر : الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وقرّة التأويل، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1393هـ، ص14-20.

<sup>4</sup> السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ص 112- 113 .

- نجح السامرائي في استنطاق النص القرآني بما ساقه من مفاهيم عقلية وشرعية تتوافق مع معطيات النص من جهة، وما امتلكه من ثقافة معرفية عالية استطاع من خلالها توجيه النص القرآني، وإبراز بلاغته العالية، ونظمه البديع المحقق لإعجازه.
- البلاغة الحديثة تبنى على أسس تتصل بالذوق و الفن و الجمال و التأثير .

#### قائمة المصادر و المراجع :

- القرآن الكريم .
- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، ط1، دار الكتب، بيروت ، 1422هـ.
- الباقلائي، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، [د.ط.]، دار المعارف ، القاهرة، [د.ت].
- بدوي أحمد أحمد ، عبد القاهر الجرجاني ، بلاغته ونقده ، ط2 ، المؤسسة المصرية العامة ، سلسلة أعلام العرب، القاهرة ، [د.ت] .
- بدوي طبانة ، البيان العربي، دراسة في تطوير الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجه و مصادرها الكبرى ، ط7، دار المنارة، جدة 1988م.
- بودرع عبد الرحمن ، الخطاب القرآني ومناهج التأويل نحو دراسة نقدية للتأويلات المعاصرة ، ط1 ، الرابطة المحمدية للعلماء ، المغرب ، 2014م.
- الجرجاني عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمود محمد شاكر، ط5 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2004م.
- الخطابي ، بيان إعجاز القرآن ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1979م .
- الخطيب الإسكافي ، درة التنزيل وقرّة التأويل ، ط1 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1393 هـ .
- الخولي أمين ، مناهج تجديد في النحو و البلاغة والتفسير و الأدب، ط1، دار المعرفة، القاهرة، 1961م.
- الزمخشري ، أساس البلاغة ، [د.ط.] ، دار المعرفة ، بيروت ، 1979م.
- الزمخشري ، الكشاف ، [د.ط.]، مصطفى البابي الحلبي، مصر ، 1948م.
- السامرائي فاضل صالح ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ط2 ، شركة العاتك لصناعة الكتب ، القاهرة ، 2006م.
- السامرائي فاضل صالح ، من أسرار التعبير القرآني ، ط1 ، دار الفكر ، 2009م.
- السامرائي فاضل صالح ، على طريق التفسير البياني ، [د.ط.] ، النشر العلمي ، الشارقة ، [د.ت] .
- شوقي ضيف، البلاغة تطور و تاريخ ، [د.ط.]، دار المعارف ، 1965م .
- عرفة عبد المعطي، قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ، ط1، عالم الكتب، القاهرة ، 1985م .
- مصطفى مسلم ، موجز في إعجاز القرآن ، ط2 ، دار المسلم ، الرياض ، 1996م .
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن ، ط7 ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، 1990م .
- ابن منظور ، لسان العرب ، [د.ط.] ، دار اللسان العربي ، بيروت ، [د.ت] ، ج2 .

#### المقالات :

- اليزيد بلعمش ، الدراسات البيانية للقرآن الكريم عند فاضل صالح السامرائي ، سمات و مرتكزات ، جامعة الأمير عبد القادر . مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، 2017م